خلط الأوراق «ألغام في طريق الوفاق والحلول الوطنية»

من الملاحظ أنه طوال مرحلة الأزمة حتى اليوم كانت جميع الأطراف السياسية، تقترب أحياناً من الحلول والتوافق البناء والايجابي، لكنها سرعان ما تبتعد وتعود الى مربعات التأزيم وحقول الاشتباك السياسي والاعلامي وايضاً المسلح، مرينا بتسويات ومبادرات ووساطات جميعها فشلت ولم تنقل اليمن الى شاطئ الأمان، خاصة فيما يتعلق بتحقيق الأمن والاستقرار وبناء الدولة والقضاء على الفساد، وانما زادت هذه القضايا تعقيداً وتأزيماً، وهي بذلك لم تحقق نقلة الى الأفضل، بل لم تحافظ على الوضع السابق، وإنما نقلت البلاد الى وضع أسوأ وأخطر بكثير.

< محمدعلي عناش

على إثر هذا الفشل تدنى ترتيب اليمن وتراجع في مجالات تنموية عدة باتت تحذر منه ومن تداعياته ونتائجه جميع الدول والمنظمات الدولية التي صنفت اليمن من الدول الأكثر فشلاً والأقرب الى مرحلة الدخول في الحرب الأهلية خاصة مع اتساع نطاق الانفلات الأمني وتزايد هجمات القاعدة.. من المؤكد أن هذا الفشل في نجاح التسويات والمبادرات والحلول الوطنية، ليس عفوياً أو تداعى من ذات نفسه، وإنما كانت هناك ايادٍ وأطراف باتت مكشوفة، هي وراء هذا الفشل أو بالأجدر الإفشال المتعمد، لإدراك هذه الأطراف أن أجندتها وأهدافها لن تتحقق في ظل نجاح التسويات والمبادرات والأمن والاستقرار، كون أجندتها لا تحمل أبعاداً غير وطنية وغير نزيهة فحسب وإنما أبعاداً حزبية ومصلحية.

هذه الأطراف والأيادي التي تعبث بالبلد وتضع العراقيل أمام الحلول تتمثل في حزب الاصلاح وقواه العسكرية والقبلية هذا بدرجة أساسية، كما أن النخب السياسية والثقافية ساهمت أيضاً في وضع هذه العراقيل وافشال التسويات والمبادرات، والدخول في خط المحاصصة والمكاسب الحزبية على حساب الحلول الوطنية الجادة.

استراتيجية افشال التسوية والتقارب كثيرة، أهمها استراتيجية خلط الأوراق، فكلما اقتربت الجهود من الحلول ومن ملامسة القضايا الوطنية، تبدأ هذه الأطراف في خلط الأوراق وارباك المشهد وتأزيمه من جديد على مستويات كثيرة «الاعلام والقرارات والتعيينات الاقصائية- الاستهدافات الشخصية - الاغتيالات- الهجوم على المعسكرات».. في بداية الأمر أوكلت المهمة لرئيس الوزراء محمد سالم باسندوة في اثارة الخطابات والتصريحات العدائية المتجاوزة لطبيعة عمله وأسس الوفاق الوطني، ثم تناوب على الأمر مجموعة من وزراء المشترك كالعمراني، سميع، الوجيه، مشهور، ثم محمد قحطان وزير الداخلية الذي حقق رقماً قياسياً في تحويل وزارة الداخلية الى قطاع خاص لحزب الاصلاح، ورقماً قياسياً في الانفلات الأمني وغياب الدولة.

جميع هؤلاء ومن خلفهم قوى عسكرية واجتماعية نافذة هم من أفشلوا المرحلة والتسوية السياسية، واستمروا في ارباك المشهد وخلط الأوراق فتدهور الوضع في عهدهم وزاد الفساد والانفلات الأمني وضاعت هيبة الدولة ودمرت شبكة الكهرباء وغابت الحقيقة والمصداقية..

الصمت القاتل

الصمت على تجاوز هؤلاء وعدم اتخاذ مواقف وطنية صارمة بحقهم شجعهم على الاستمرار والتمادي في مخالفاتهم وسوء ادارتهم واستهتارهم بالمسئولية وباللوائح والقوانين الى درجة التعنت ورفض توجيهات وأوامر رئيس الجمهورية، ليس حرصاً منهم، وإنما لحسابات حزبية والمزاجية المفرطة في الاستهتار، وبناء على توجيهات قوى نافذة خارج الحكومة، الذي نعلمه أنه لا يوجد أي وزير في العالم يرفض توجيهات رئيس الجمهورية، ويتشبث بمنصبه، ولكن هناك من يقدمون استقالتهم عندما يفشلون أو عندما يتلقون توجيهات يعتقدون أنها مخالفة للقانون.

لم يقف سيناريو العبث بالتسوية السياسية وافشال المبادرة الخليجية عند هذا الحد، وإنما استمرت استراتيجية خلط الأوراق الناسفة لكل الجهود والمواقف الوطنية والنجاحات الحزبية التي تتحقق هنا وهناك، في ظل استمرار وتوجه ومخطط السيطرة على مؤسسات الدولة واخونتها.. لم تأتِ القرارات الرئاسية مستوعبة لهذه الاجواء والمخططات، كي تحد منها وتعدل مساراتها في الاتجاه السليم، وإنما جاءت في معظمها امتداداً لهذه الأجواء والتوجهات وهي بذلك لم تدعم حالة الوفاق وترسخها، ولم تحافظ على الركيزة الأساسية لوجود الدولة واستمرار بقائها وصمودها، وهي المؤسسة العسكرية المتمثلة في الحرس الجمهوري، وانما شرذمتها وقلمت مخالبها، وها هي اليوم أصبحت لقمة سائغة لوحوش القاعدة- أو كما قال زميلي سمير النمر، لفصائل الجيش الحر الاخواني في اليمن الذي ظهر بقوة بعد قرارات الهيكلة.

ومع انتهاء مؤتمر الحوار الوطني بعد أشهر من الانعقاد والمداولات والنقاشات لم يخرج بقرارات وحلول توافقية ووطنية تجاه القضايا الرئيسية «القضية الجنوبية، قضية صعدة، بناء الدولة» وانما زادت تعقيداتها وارتفعت وتيرة خلط الأوراق بهمة عالية تجاه هذه القضايا.

فالحراك كشف عن نشاطه وتحركاته الميدانية وصعد من خطابه السياسي التحريضي، رفضاً للحوار ومخرجاته، ومتقوقعاً حول مطلب واحد فقط وهو حق تقرير المصير، من الحلول المعقولة والبديلة مشروع الاقاليم «الفيدرالية» التي أصبحت مرفوضة، الرهان كان على الحزب الاشتراكي في تقريب المسائل وابتكار الحلول الوطنية الجادة لهذه القضية، وكعادته حتى من قبل أزمة 2011م ظل موقفه غامضاً وتحركاته مشبوهة، فهو أكثر من عقد هذه القضية وعمق اشكالياتها، بوقوفه في المنطقة الرمادية من القضية، رغم أن معظم قيادات الحراك هم أعضاء في مكتبه السياسي ولجنته المركزية، والتصريح الأخير للدكتور ياسين سعيد نعمان الذي صمت دهراً ونطق كفراً، عندما اقترح أن تكون هناك دولة من اقليمين هو وجه آخر للانفصال، وهو خلط جديد للأوراق من داخل أروقة الحزب الاشتراكي أو من شخص الدكتور ياسين، ولماذا لا نكون وحدويون ووطنيون فنحافظ على الوحدة والدولة وتماسك المجتمع، ولماذا لا نسمع صوتاً للنخبة تجاه المذابح والتدمير التي يتعرض له جيش الوطن، بينما يرتفع صوتهم عالياً تجاه ما يسمى مشروع العزل السياسي واسقاط الحصانة.. أهذا المشروع الذي تمخض عنه مؤتمر الحوار الوطني وهو في فترته الأخيرة المتعلقة بالقرارات وصياغة الحلول والمعالجات؟!!.. انها سياسية خلط الأوراق التي غالباً ما تفعل في اللحظات الحرجة التي تستحق مواقف وطنية جادة وتتطلب موضوعية وتتطلب أناساً كباراً ورجالاً عظماء.

من جانب آخر ارتفعت وتيرة خطاب الكراهية والتحريض، وارتفعت وتيرة اذكاء الفتنة والاستقطاب لخوض صراعات وفتح جبهات مسلحة على خلفية طائفية ومذهبية وقبلية، في أكثر من منطقة، كحوث وعذر ودماج وكتاف وإب وبعض مناطق حجة، وكذا الاغتيالات التي تستهدف ناشطين حوثيين أو مناصرين لهم كإغتيال الناشط بسام الجنيد الذي اغتيل في وضح النهار بمدينة تعز، ومع ذلك لا نسمع للمنظمات الحقوقية والكثير من وسائل الاعلام أي رد فعل مناهض ومدين لهذه الجرائم، على صعيد بناء الدولة وشكل نظام الحكم، فقد أوكلت مهمة خلط الأوراق وعرقلة مخرجات الحوار الوطني، للزنداني وجامعة الايمان، فهاهم يصعدون المنابر ويجمعون التوقيعات رفضاً لمخرجات الحوار الوطني فيما يتعلق بنظام الحكم وشكل الدولة، ويثيرون البلابل والاشاعات حولها، ويعتبرونها مخرجات مخالفة للشرع ومحاربة للاسلام.

الخطاب الديني المتطرف في هذه المسألة هو جزء من التكييف للوضع لصالح حزب الاصلاح، مثله مثل ضرب الكهرباء الموكلة لأشخاص بعينهم، والهجوم على المعسكرات الموكلة لجماعات بعينها، التنظيمات الموكلة لقوى بعينها، التقارير المضللة والمزيفة الموكلة لمنظمات بعينها..

إلام الخلف بينكم..؟!!

طوال عشرة أيام قضيتها في الريف قطعت صلتي بالوسائط الحديثة وقد حاولت ما بوسعي من الجهد أرشفة كل ما تختزنه الذاكرة من «فيهقة السياسة» وما يعتمل في وجدان الناس من ألم ومن مشاهد الدمار والموت والانكسار والانهيارات النفسية والاجتماعية والتدهور في البنى الثقافية والتصورات الذهنية، حاولت في ذلك الزمن القصير أن استعيد بهاء الطبيعة..

عبدالرحمن مراد

أقوم بتخزين أصوات خشاشات الليل وزقزقة العصافير وهديل الحمام وأصوات البلابل والكناري واتنفس مع الصبح غبش الزمن وأتأمل خيوط الشمس الذهبية وهي تقبل في خشوع ومحبة وهاد وهضاب وأشجار الأرض، غادرت هذا الفضاء لاستعيد الانسان المفقود بداخلي، ذلك الانسان الذي شوهته الصراعات وقتلته مشاهد الدماء والرؤوس المبتورة من أجسادها والأشلاء المتناثرة واللغات والكلمات النابية وقتل وغياب الحس الانساني والضمير الوطني، هناك في الريف وفي احضان الطبيعة نجد الانسان ذاته وينسى نشرات الأخبار ووجع العالم كله من حوله يخلو الى ذهنه وصفاء روحه.. وحده الكتاب كان جليسي الوحيد أسامره وأحادثه وأبث أشجاني وصباباتي ولوعتي وحنيني فيقول لي ما يفسر حاضري ويخفف عني أوجاعي ويعيد إليّ ما سلبته السنون الخوالي مني، كان ديوان أمير الشعراء شوقي على الرف اقتربت منه وفتحته فكان أول ما وقعت عيني عليه هو قوله:

إلامَ الخلف بينكم إلاما؟ وهذي الضجة الكبرى علاما؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض.. وتبدون العداوة والخصاما؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت.. على حال ولا السودان داما؟

منذ سنين قرأت لشوقي ولم أعد إليه إلاّ في تلك اللحظة التي استوعبت تفاصيلها حتى الآن، لقد كانت لحظة فارقة ايقظت في ذاكرتي وجع الخصام وتاريخ الصراعات والثارات وهو تاريخ طويل ودامي لا يكاد يستقرُّ حتى تبدأ دورة الصراعات والدم والنكوص الحضاري، ومنذ بدأ ذلك التاريخ السياسي المدمر لم تتمكن اليمن من استعادة أمجادها الحضارية ودورها المحوري في حركة التجارة والصناعة وفاعليتها الاقتصادية والاستراتيجية، كل الذي حدث طوال قرون من الصراع هو التشرد والاغتراب والشعور القاتل بالفراغ الحضاري والانقطاع عن المكان الجغرافي والزمان التاريخي.. كل تلك التراكمات والخبرات الحضارية ذهبت شذراً مذراً وتنازعتها أمكنه الاغتراب، وأدعتها كثير من البلدان والكثير من كل أولئك حاول التأصيل النظري لها عدا اليمن، فهي تحاول الهروب من ذلك الثراء الحضاري والتراث الثقافي الى رمال الصحراء المتحركة وثقافتها التي تقوم على أسس الفيد والغنمية والاغارة والتدمير والاطلال والقوة، وهدم العمران والمظاهر الحضارية وهي مجسدة في العبوات الناسفة والأحزمة المتفجرة والسيارات المفخخة وفي كل ذلك الفراغ وذلك التوحش في الطباع الذي يتعامل مع الآخر المغاير له أو المجانس بلغة الغاب واخلاق الوحوش.

كل تلك المشاهد تواترت في ذهني وأنا أقرأ شوقي طبعاً، وتمنيت لو أن رموز العمل السياسي في اليمن نبذوا الخلف الذي يتصاعد بوتيرة عالية في الضجة الاعلامية المفتعلة للأطراف المتصارعة، فاليمن لم تعد بحاجة الى كل ذلك الكيد السياسي ولم تعد بحاجة الى العداوات والخصومات والصراعات الدامية بل هي في أشد الحاجة الى الاستقرار والتوافق على آليات وأدوات عادلة وضامنة لحقوق الكل في ظل دولة مدنية توفر ولو الحدود الدنيا من المواطنة المتساوية بعيداً عن التمايز وغلبة القوة في تفاصيل اللحظة الحياتية التي تتمازج في وجدان الجماهير التي تشرئب أعناقها الى الغد الأخضر المأمول.

وبعد عامين من التجاذبات والصراعات وأكثر من نصف عام في الحوار على قضايا الوطن وبناء الدولة لايزال الخُلْف هو سيد الموقف، ومايزال الكيد هو المتشدق بمفردات السياسة والمتفيهق بقضايا الوطن، ولايزال الماضي بكل تراكماته وصراعاته هو اللاعب الأبرز في صميم التجربة المعاصرة، والجماهير تبحث عن خلاصها ولا بوادر أمل تلوح في الأفق بل يكاد أن يكون متلبداً بتواتر الأحداث التي تستهدف المؤسسة الأمنية والعسكرية وبتقارير الأجهزة الاستخباراتية التي تطالتنا بها الصحف في صباحاتنا الدامعة والدامية وبتحركات بعض القوى المثيرة للريبة والمرتهنة للقوى الاقليمية والعربية والدولية..

وحدها اليمن هي الغائب الوحيد من كل الأحداث التي توالت وتواترت منذ عام 2011م وحتى الجلسات الختامية لمؤتمر الحوار والحوادث الأمنية المتفرقة في ربوعها وعلى جباله ووهاده وفي أزقته وحواريه وشوارعه دالة على غيابه، لقد أصبحت حاجتنا ضرورية في استعادة ذواتنا المستلبة كحالات فردية ومن ثم استعادة اليمن كحالة جمعية بلغت ذروة الاكتمال من التشظي لتعود كما هي طبيعة الأشياء الى ذروة التوحد والاكتمال فيه، فاليمن التعبير الأمثل لامتدادنا وتجذرنا وبدونه قد تتجاوزنا مفردات الجغرافيا ومفردات الزمان في تعبيراتهما المختلفة.

الحوار.. ومأزق الانتقالية

منذ حرب الجمهوريين بعد ثورة سبتمبر حتى الحروب الشطرية وما بينهما وبعدهما من صراعات على الحكم وانقلابات ربطاً بمدّين متقاربين أو متداخلين «قومي وأممي» ثم مد معاكس غربي ولكن من خلال الأسلمة وما عرف بالصحوة الاسلامية.. منذ ذلك الزمن ومن هذه الصراعات والتطورات - فالإنسان الأكثر وعياً بالأحداث والأكثر انحيازاً لواقعه ولبلده كأنما هو في حالة من إعادة البحث الدائم عن هويته وعن انتمائه ومدى قدرته على التزام الحد الأدنى من ثوابت ومحددات الهوية والانتماء.

محمد الأشموري

حين اشتعال أزمة 2011م كنت الأكثر حماساً للتغيير وللانتقال للأفضل ولكن من خلال التوافق لضمان الحد الأدنى من الأمن والاستقرار وعدم حدوث اقتتال وحروب، وهذا حتمي في حالة رحيل وإقصاء دون ترتيب بديل.

إن هذا من حقي كمواطن ومع ذلك لا يمكن أن تجد من يناقشك بمصداقية حول قضيتك أو الحد من استحقاق الأوطان والقضايا.

ما حدث ويحدث في الفترة الانتقالية حتى الآن يؤكد بداهة أن تسليم السلطة دون ترتيب هو دخول في حروب واقتتال بلا حدود.

حين نتابع تطورات تونس ومصر سنجد التشابه في اصطفاف وصراع ما بعد الثورة هو بين ما في المحطة من أخونة كطرف والقوى الأخرى كمعارضة وبينها الشباب الذي يحس أن الثورة سرقت منه.

في اليمن فإن تسليم السلطة كان دون بديل توافقي يعني تلقائياً الاقتتال بين الاخوان وأنصار الله «الحوثيين» ويعني المحاولة تلقائياً لانفصال الأمر الواقع والرفض تلقائياً يعني الاقتتال.

وتداعيات في المحوريتين وانتعاش صراعات أخرى كامنة وقائمة في الواقع تمثل الاحتمالات المفتوحة والأسوأ.

الترتيبات التي دبرت وهيئت ومررت للفترة الانتقالية في مصر لم يحتاج اليها في واقع مصر، وحقيقة فإني لا أهتم بالأطراف الداخلية الأقوى أو الفاعلة لأنها كلها من القوى والاحزاب التي كانت تعرف بالمغامرة، ولكن السؤال البارز الذي تطرحه أحداث وتموضع الفترة الانتقالية وإعاقة أطراف للحوار والمواقف من الحوار هو ما الذي كانت تفكر فيه أمريكا أو ستفكر فيه وأي قوى حليفة لها للتعامل مع وضع شديد التعقيد وواقع صراعات أكثر تعقيداً لمحاولة الإبقاء على قدر من أمن واستقرار وإن بمستوى افغانستان والعراق؟

من السهل على أثقال إقليمية الدفع والتصعيد الى انفصال الامر الواقع، بما أفضى الى حرب 1994م ولكن من الصعب على الأثقال الاقليمية وأثقال المجتمع الدولي المتوافقة استثنائياً تجاه اليمن أن تجمع الاطراف اليمنية المتصارعة واقعياً على حل عبر مائدة الحوار الوطني.

من فرضية أن أنصار الله «الحوثية» تريد من صعدة السير في جمهورية اسلامية وكذلك اللواء المنشق علي محسن بات مع الزنداني يتطلعون خلافة اسلامية من عمران والشيخ حميد الأحمر يدعم ذلك كأرضية تمترس متوارثة، ولذلك فأي طرف آخر يدرك ويعي أنه لم يعد سهلاً ولا واقعياً إعادة براميل التشطير كما كانت عليه قبل 22 مايو 1990م، لكن على الجميع أن يدركوا أن البديل للوحدة بات تشطير المشطر وليس إعادة أو عودة للتشطير فقط.

لعلِّي أطمئن اليوم الزعيم علي عبدالله صالح ومن عملوا معه بأن فساد حكومة الوفاق في الفترة الانتقالية حتى الآن قد اسقط الحاجة للحصانة المضمنة في المبادرة الخليجية وحكومة الوفاق باتت تحتاج للحصانة أو لمد العمل بها حتى انتهاء الفترة الانتقالية والانتقال للعمل بدستور جديد وانتخابات تشريعية وبرلمانية بموجبه بعد إقراره.

> اليمن مهدد بالتشطير إلى اكثر من كيان

الوحدة بالقوة كانت منطق الأممية كما فيتنام جربها الحزب الاشتراكي اليمني، كما كانت منطق الاسلمة والخلافة الاسلامية ولعل أثقال تأثير هامة في طرف الاخوان لاتزال تؤمن بهذا المنطق وترى محطة 2011م ومعطاها في اليمن يعززه.

إذا لم تدعم القوى الاقليمية الدولية الرئيس عبدربه منصور هادي رئيس الجمهورية ونجاح مؤتمر الحوار فالبدائل التي ستفرض نفسها هي فوق النمطية كثقافة من تموضع ومرجعية الحرب الباردة وقد يحدد ملامح الغلبة الأطراف الأقوى في الواقع ومن ستدعم الأثقال الأهم في الخارج.. فهل من طرف ينافس الأخوان في تموضع القوة داخلياً واحتمالات مواقف الخارج؟